الدرس11: نظريات التحليل الدلالي : النظرية الوظيفية

أوّلا: مفهوم النظرية الوظيفية

هي مدرسة لسانية بنيوية أوروبية ظهرت في فرنسا، وتعد امتداد لمدرسة براغ الوظيفية، وسميت بالوظيفية لأن الباحث فيها يحاول دائما أن يكتشف ما إذا كانت كل الوحدات اللغوية التي يحتوي عليها النص تؤدي وظيفة في التبليغ أم لا ؛أي أنه يبحث عن الوحدات التي تلعب دورا هاما في التمييز بين المعاني، ومن هنا فإن جميع البنيات اللغوية بدءا بالبنية الصوتية وصولا إلى الدلالة محكومة بمجموعة الوظائف التي تؤديها داخل المجموعة اللغوية وهي وظائف لا تنفك عن الطابع الاجتماعي، المتمثل في جميع الظروف الغير لسانية التي تحقق العبارة أو الجملة.

فهي تُعنى باستخدام اللغة بوصفها وسيلة اتّصال بين أفراد المجتمع للوصول إلى غايات معيّنة، ولا ينفصل الجانب الوظيفي فيها عن النظام اللغوي نفسه وترى هذه النظريّة أنّ البحث العلمي «يتأسس على إثبات ملاءمة ما، وأنّ الملاءمة التواصلية هي التي تسمح بشكل أفضل بفهم طبيعة دينامية اللغة»[1]. أمّا الظواهر المنتمية إلى هذه النظرية فهي «ظواهر مقامية تداولية مرتبطة بالمقام أي بمختلف الظروف" [2]. وقد ناقشت اللسانيات الحديثة الحالة الإعرابية بوصفها موضوعًا أساسيًا في النظرية اللسانية، وتتفاوت النظريات اللسانية المعاصرة في تصوّرها للحالة الإعرابية، وبالتالي في كيفية معالجتها؛ وذلك تبعًا لاختلافها منهجيًا.

ثانيا: المبادئ الأساسية للنظرية الوظيفية

وتتلخص المبادئ المنهجية الأساسية المعتمدة في النحو الوظيفي فيما يلي(٢):

١– وظيفة اللغات الطبيعة (الأساسية) هي التواصل.

٢– موضوع الدرس اللساني هو وصف القدرة التواصلية للمتكلم والمخاطب.

٣– النحو الوظيفي نظريةللتركيب والدلالة منظورا إليهما من وجهة نظر تداولية.

٤– يجب أن يسعى الوصف اللغوي الطامح للكفاية إلى تحقيق أنواع ثلاثة من الكفاية:

أ- الكفاية التداولية. ب- الكفاية النفسية. ج- الكفاية النمطية.

الكفاية التداولية :تعني أن النحو الوظيفي لا يقتصر على القواعد التي تضمن سلامة بناء الجمل أو النصوص فحسب بل تعنى بالقدر نفسه برصد القواعد والشروط اللازمة لجعل تلك الجمل أو النصوص مقبولة وناجحة وملائمة للموقف التبليغي الذي تكون مسرحاً له[3].

الكفاية النفسية : أن يحاول النحو الوظيفي أن يكون مطابقاً للنماذج النفسية التي تنقسم إلى نماذج إنتاج والتي تحدد كيف يبني المتكلم العبارات اللغوية وينطقها، ونماذج فهم وهي التي تحدد كيفية تحليل المخاطب للعبارات اللغوية وتأويلها[5].

بالكفاية النمطية: أن النحو الوظيفي، يطمح إلى أن ينطبق على أكبر عدد ممكن من اللغات الطبيعية، ذات البنى اللغوية المتباينة، فيرصد ما يؤالف بين هذه المتباينة نمطيا وما يخالف بينها[5].

ثالثا: المبادئ البنيوية (الوظيفية) المعتمدة في تحليل اللغة

وتتميز الدراسة الوظيفية للغة بتفرعها على مستويين المستوى الصوتي والمستوى التركيبي

إن من أهم المبادئ البنيوية التي نادت بها مدرسة براغ نذكر ما يلي

1: المستوى الصوتي:

- الانطلاق، في التعامل مع اللغة ، من مبدأ اعتقادها ظاهرة طبيعية وواقعا فعليا خاضعة لظروف مبدأ التواصل.

- الاهتمام بالمبدأ التزامني في الدراسة اللغوية.

- لمرتبة الصوت قيمة في الوظيفية التراتبية ، فلا يمكن معرفة الوحدات الصوتية لكل من رَسَمَ وسَمَرَ مثلاً إلا باختلاف مواقع الحروف.

- استثمار مفاهيم دي سوسير في الدراسة الوظيفية للصوت اللغوي مثل التقابل، والنظام، والعلاقات التركيبية والاستبدالية ، وثنائية اللغة والكلام، وغيرها.

- الاهتمام بتحليل البنية الأولية البسيطة للغة وهي الفونيم من أجل العثور على سماتها الوظيفية.

- و يعتبر الفونيم في تصور " تروبتسكوي* " أصغر وحدة فونولوجية في اللسان المدروس, وعرفه بقوله " الوحدة الفونولوجية التي لا تقبل التجزئ إلى وحدات فونولوجية أخرى أصغر منها في لغة معينة.

-تصنيف الوحدات الصوتية في اللغة الواحدة ووضعها في نظام اندراجي يسمح بالنظر إليها من حيث هي وقائع صوتية ذات وظائف وسمات مميّزة.

-الكشف عن العلاقات التي تنطوي على وظيفة في النظام الفونولوجي للغة الواحدة ،

مثل :علاقات التقابل بين مجموعة الحروف الشفوية (م،ب،و،ف)، أو بين الحروف الصفيرية (س، ص،ز) في اللسان العربي.

-التمييز بين التنوعات الصوتية التي هي مجرد تحقيقات نطقية لفونيم واحد والتغيرات التي تصيب الفونيمات بحيث تقتضي تغيير الدلالة للكلمة وذلك عند تبديل فونيم مكان فونيم آخر في السياق ذاته.

ويمكن أن نجسد هذا المبدأ في مثال بسيط من حياتنا اليومية:

ففي لهجتنا الجزائرية هناك من ينطق لفظة: قال، ڤال فهل نعتبر (ڤ)فونيم وظيفي؟

والجواب هو:لا، مادام تغيره لا يضيف معنًا جديد، ويُقر الصوتمي هنا بوجود وحدة واحدة تميزية (فونيم).

ثانيا : المستوى التركيبي:

* ـ الاهتمام بتحليل البنية التركيبية وتفكيك الملفوظ (المونيم) الى وحدات دنيا متتابعة مفيدة.

*ـ اتخاذ المعنى مقياس في تحليل النصوص اللغوية ، ويتغير المعنى بتغير اللفظ.

* ـ تحديد الأجزاء، التي تمثل في الحالتين اختيار توخاه المتكلم ،إما للحصول على دال بعينه ، وإما لتبليغ رسالة بعينها. وذلك يكون باستعمالنا طريقة التحليل بالتعوي .الذي يقتضي في هذه النقطة مقابلة مونيم بغيره لإبراز الوحدات الدنيا التي تساهم في تمييز الوحدة "أطفال" مثلا عن غيرها باستبدالنا لفونيم الـ 'ط' بفونيمات أخرى مثل /ن ،/ ق، ينتج لنا من ذلك مونيمات أخرى بمعانٍ أخرى: كـ أنفال ،و أقفال ،.....

ويكون ذلك في اعتماد المستغيث إرسال رسالته عبر قول أو متوالية وحدات معنوية ؛ مثل قوله : " كُسرت شوكة اليهودي " عوض " كُسرت شوكة الفلسطيني"

وهذا كله يتم على حسب مبتغى المتكلم في اختياره لإحدى هذه المونيمات أثناء خطابه(أو نقل تجربته) والتي يصل بها إلى المعنى الذي يريده من وراء هذا الاختيار.

* تصنيف وظيفي للوحدات اللغوية (اللفاظم،المونيمات)لإيجاد مقاييس موضوعية لضبط الوظائف، ونتج عن ذلك ثلاثة أصناف:

* اللفاظم المستقلة (المونيم المكتفي)، مثل الظروف في اللغة العربية (أمس،غدا، حيث،بعد ،....).

* اللفاظم الوظيفية (المونيم الوظيفي) ، مثل حروف الجر وحروف العطف

* اللفاظم التابعة (المونيم التابع) ، كارتباط اللفظم بآخر وظيفي ومرتبته ،أو الإعراب في اللغة العربية □.

الهوامش

أندريه مارتينيه، وظيفة الألسن وديناميتها، ترجمة نادر سراج، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت: ، 1996،ص97.

أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دط، الدار البيضاء: دار الثقافة، 1985، ص9.

يحيى بعيطيش، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، ص:83

المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر للغوي العربي، ص:66

بعيطيش، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، ص:88.

الحرف: هو أصغر وحدة مجردة من كل معنى وتسمى بالوحدات غير الدالة والتي يطلق عليها اسم الفونيم (Phonèmes) وما ترجمته بالعربية الصوتيم ،أي الوحدة الصوتية والوظائفية وتسمى أيضا بالوحدات الدنيا .

الكلمة: هي القطعة التي تندرج في المستوى الأول من التقطيع المزدوج حيث أنها اصغر قطعة يصل إليها التحليل ممّا يدل على معنى(-).وقد نعثر على تسميات عديدة لهذه الوحدة اللغوية : العنصر الدال ، الوحدة المعنوية ، وتسمى عند مارتيني : مونيم (Monèmes).

المزج: يحدث عندما تكون هناك قطعة صوتية ممزوجة (amalgamé)،وذلك عند وجود مدلولين متداخلين في دال واحد مما يعيق عملية التحليل إلى قطع متوالية : ومثال ذلك في العربية بالنسبة للتراكيب النحوية البناء للمجهول وجمع التكسير،مثلا في صيغة من" أطفال" التي لا يمكن تحليل علامة الجمع فيها إلى قطعة صوتية محددة وتكون بذلك استثناء من القاعدة الوظيفية التي تقول بان "اللغة مزدوجة التقطيع... وتخصص لكل دال مدلول يمكن عزله عن غيره وضبط حدوده"وتشكل المونيمات قسما مفتوحا ذات وحدات متغيرة ومتجددة ، بينما تشكل الموفيمات (الفونيمات) قسما مغلقا وحداته قارة ومحدودة.